● نحن والمجتمع

عين الإنسانية تفضح العدوان

بعد يومين على ارتكابه مجزرة في قرية بيت العذري شمال صنعاء، مُودياً بحياة ٤٨ مدنياً، أقدمت الطائرات السعودية على ارتكاب مجزرة أخرى في فج عطان بصنعاء، في ٢٥ آب/ اغسطس عام ٢٠١٧، أسفرت عن وقوع ١٦ ضحية بينهم ٨ أطفال و٤ نساء، و٢٢ جريحاً. ولاحقاً، أقرّ التحالف السعوديّ، على لسان الناطق باسمه، تركي المالكي، بالوقوف خلف الغارة مؤكّداً أنّ إصابة الهدف المدنيّ وقعت بسبب وجود خطأ تقنيّ.
وقال "إنه بعد مراجعة كل الوثائق والإجراءات المتعلقة بالتخطيط والتنفيذ العمليات اتضح وجود خطأ تقنيّ كان سبباً في وقوع الحادث"، ثم وصفه بالعرضيّ وغير المقصود.

مجازر التحالف السعودي

يذكر أنها ليست المرة الأولى التي تتسبب غارات طيران التحالف السعودي بمجازر في اليمن، حيث شهد هذا العام مجزرة في صالة عزاء في صنعاء سقط فيها ٧٠٠ يمني بين شهيد وجريح، وقد انتقدت الكثير من التقارير والمنظمات الدولية هذه الجرائم ودعت التحالف السعودي لوقفها، كما اتهمت السعودية باستخدام أسلحة محرمة دولياً.

الناجية الوحيدة من أسرتها

وقد فقدت في مجزرة فج عطان الطّفلة بثينة الريمي البالغة من العمر ٨ سنوات والديها وعمّها وشقيقاتها الأربع وشقيقها الوحيد. وأضحت صورتها التي اجتاحت وسائل التواصل الاجتماعي، وهي تحاول فتح عينها اليمنى المجروحة، فيما التورم والدم يغلق عينها اليسرى شاهداً على وحشية التحالف وتجرده من الانسانية.
ولم تكن الطفلة بثينة التي كانت نائمة في حضن أمها، تعلم أنّ ذلك سيكون الحضن الأخير، وأنها ستحرم من كلمة "ماما"، ومن عطف "بابا" إلى الأبد، ولن تتمكن من مشاركة إخوتها اللعب والشغب، وستفقد السقف الذي يؤويهم جميعاً. كابوس مرعب كانت طفلة بعمر الزهور شاهدة على تفاصيله، وأراد أن يكتب لها القدر عمرًا جديداً، فكانت بثينة الناجية الوحيدة من القصف. حصدت قصتها وصورتها بعينها المتورمة وكدمات على وجهها الصغير تعاطفاً دولياً واسعابعدما ظهرت في صور وهي تضع أصابعها حول عينها اليمنى في محاولة لإبقائها مفتوحة بعدما تورّمت جراء الإصابة في الضربة الجوية التي نفّذتها طائرة تابعة للتحالف العسكري بقيادة السعودية. وانتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي صور أشخاص وهم يقلّدونها، مطالبين بوضع حد للحرب.

بثينة ...عين اليمن الجريح

كان من الواضح أن الحركة التي اشتهرت بها بثينة لفتح إحدى عينيها أمام عدسة الكاميرا فتحت عيون العالم على ما ترتكبه الرياض من جرائم، وعلى إثر ذلك قامت السعودية بتدبير خطة لاختطاف بثينة من صنعاء وإيصالها إلى عدن ومنها إلى الرياض، محاولة من ذلك تبييض صورتها أمام المجتمع الدولي التي أصبحت سيئة ومحل اتهامات مباشرة بارتكاب مجازر حرب في اليمن. فقدت عمدت السعودية إلى اختطاف الطفلة، بعد أن قامت بخداع عمها عبر مؤسسة تابعة لها، ادعت بأنها ستصور معهم فيلماً وثائقياً عن السلام. وفي العام ٢٠٢١، وبعد رفع فريق التفاوض اليمني اسمها بين قائمة الأسرى، أُطلق سراح الطفلة بثينة قبل يوم من إطلاق الأسرى.

وضرورة كتابة التاريخ حولها

آثار الثورة الإسلامية الإيرانية على بُنية النظام الدولي

الوفاق

لا شك أن الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٨م هي إحدى أهم أحداث أواخر القرن العشرين في العالم، وقد أحدثت تغييرات واسعة النطاق في المجالات السياسية والاجتماعية لإيران والمنطقة والعالم. إن إيضاح كيف نشأت الثورة الإسلامية، وأصولها، وأهم أهدافها ودوافعها، وقادتها ومؤسسيها، وحلفائها وداعميها، وأعدائها وخصومها، ومسار تطوراتها وفتراتها المختلفة، وخطاباتها المحددة، وخطاب الثورة، وخاصةً شرح مسار التكتلات الداخلية والخارجية للثورة والتعبير عن خصائصها والتعرف على عقباتها، تُعد كل هذه العوامل خطوة ضروريةً ومهمةً للغاية لاجتياز المرحلة الانتقالية ونقل المسؤولية تدريجياً إلى المرحلة التالية.
على الرغم من الجهود القيمة التي بُذلت في هذا الصدد من قبل بعض المؤسسات الثقافية والبحثية، والمؤسسات التوثيقية والتاريخية، وكذلك بعض الشخصيات المؤثرة في تاريخ الثورة، لم يتم عمل الكثير بالمقارنة مع نطاق الحاجة.
النقطة المهمة في التأريخ هو معرفة سير الحدث التاريخي، وموقف المؤرخ وتفكيره، يجب على مؤرخي تاريخ الثورة الإسلامية تقديم تحليل واقعي للأحداث التاريخية والاهتمام بمتطلبات هذا الأمر من أجل توفير الأسس لتشكيل تاريخ شامل وموثق.
ويجب الانتباه إلى الوثائق السرية في تاريخ التطورات الاجتماعية والسياسية والأنظمة السياسية.
على الرغم من أن مراكز التوثيق قد قدمت العديد من الخدمات بعد انتصار الثورة الإسلامية، وبالطبع فهي تحظى بتقدير كبير، إلا أن جزءاً مهماً من تاريخ الثورة الإسلامية وتاريخ النظام البهلوي لا يمكن شرحه بالكامل دون الحصول على وثائق تلك الفترة ونشرها.

ضرورة التأريخ للثورة الإسلامية وآثارها الإقليمية

من ناحية أخرى، للثورة الإسلامية الإيرانية، بحكم طبيعتها الإسلامية، جانباً عالمياً، ورؤيتها العالمية، فقد وضعت أدواراً ومهاماً للعالم، وقد اختارت المبادئ كسياسة خارجية لها ومنسجمة. بتحقيقها، اتخذت خطوات جعلت الثورة الإسلامية مصدراً للعديد من التأثيرات والتغييرات والتحولات على النظام الدولي.
لقد أثر اندلاع الثورة الإسلامية في إيران على الهيكل السياسي لتوزيع القوة والجهات الفاعلة في العلاقات الدولية وتحدى النظام الثنائي القطب وتسبب في تعزيز وظهور جهات فاعلة جديدة في العالم الثالث وفاعلين غير حكوميين مثل الحركات والشعوب في مسرح الهيكل الدولي.
وقد لعبت الثورة الإسلامية دوراً فاعلاً في خلق الثقة وإيقاظها عبر تقديم نموذج سلوكي جديد للدول المظلومة ومحاولة التأثير على الرأي العام لإحداث التغيير والتحول في الهيكل الدولي. إضافةً إلى أن دعم إيران للدول المحرومة والمضطهدة أدى إلى تنشيط وتقوية الحركات الإسلامية والتحريرية في العالم والمنطقة.
كما أن الثورة الإسلامية كانت فعالة في الموضوعات الرئيسية مثل العدل والسلام والأمن. ومع الأسف، لم تكن هناك دراسات كثيرة حول آثار الثورة الإسلامية الإيرانية على بُنية النظام الدولي ودرود فعل الدول الأخرى على أفعال الثورة الإسلامية الإيرانية.

أهمية كتابة تاريخ الثورة الإسلامية

بعد انتصار الثورة الإسلامية، اكتسب التأريخ في إيران أبعاداً واسعة. كان اهتمام العلماء وعامة الناس بالتاريخ أكثر مما كان عليه في الماضي، ولهذا السبب ظهر مجال التأريخ في إيران. يمكن أن ترجع أسباب هذا الاهتمام بالتاريخ إلى نظرة الإسلام إلى التاريخ ومكانته في القرآن، نضال الشعب الإيراني ضد الاستعمار، اهتمام قادة الثورة بمقولة التاريخ.
عندما أدركت الحركة الاستعمارية أن التأريخ في إيران يتقدم وأصبح حركة مستقلة، فكرت في خلق انحراف في عملية التأريخ؛ كانت إحدى هذه الخطط هي خطة الإصدار الانتقائي للوثائق. وفي هذه المسألة نرى أن بعض الناس في الأساس لا يفهمون الوثائق الاستخباراتية والأمنية ولا يميزون الفرق بين الوثائق القنصلية وتقارير المصادر العادية وما توفره الوثائق الاستخباراتية. وهناك جماعة ما زالت تجهل طبيعة الاستعمار ولا تفهم مؤامرة أنظمة التجسس، فلا يمكن تحليل تاريخ إيران دون فهم الاستعمار. يُعتبر المعجبون من الغرب أو الغربيون في الغالب أن ما يُكتب كتاريخ في الغرب هو أكثر علمية، يقولون أحياناً يُكتب التاريخ "القيم" في إيران، بطريقة سطحية، وكذلك يُصدر الغربيون بعض الوثائق ولكنها تفتقر إلى المعلومات الحقيقية. فأمريكا التي ارتكبت فظائع في إيران هل يُعقل أن تنشر وثائق جرائمها؟ وكذلك ارتكبت بريطانيا جرائم قتل ضد إيران وشعبها لمدة ثلاثمائة عام؛ هل هي مستعدة لنشر الوثائق التي تدينها وتُظهر أعمالها الإجرامية، أو أنشطة الجواسيس البريطانيين في إيران؟

أهمية التاريخ وكتابته من منظور الإمام الخميني (قدس)

أولى الإمام الخميني (قدس)، أهمية خاصة للتاريخ والتأريخ و "على الرغم من أنه ليس لديه عمل مستقل في هذا المجال، ولكن في أعماله المكتوبة وخطبه ورسائله وتصريحاته وبطرق مختلفة أشار إلى أهمية علم التاريخ. فالتاريخ يشبه السلسلة القوية التي تربطنا بأسس وهوية الماضي، وإذا كسرت أمة هذه السلسلة بإهمالها، فمن المؤكد أنها ستكون مرتبطة بالثقافات والمجتمعات الأخرى في فضاء انعدام الهوية ولن يبقى اسم منها.

أهداف التأريخ وأهميته من وجهة نظر الإمام الخميني (قدس)

على عكس بعض العلماء المعاصرين الذين أهملوا التاريخ المعاصر، كان لدى الإمام الخميني (قدس) تفكير جاد في تطورات التاريخ الإسلامي. إن مقاربته للتاريخ المعاصر وأبعاده المختلفة تجعل من الممكن الادعاء بأن أساس رؤيته السياسية قائمة على نطاق واسع على فكرة البحث التاريخي هذه. فقد استمد أسسه الفكرية من القرآن والأحاديث، من بين مختلف المعارف البشرية، أعطى مكانةً عالية وقيمة لعلم التاريخ وفن التأريخ، وروى آراءه ومعتقداته للناس في مناسبات مختلفة.
وجهة نظر الإمام (قدس) المستمدة من رؤية القرآن نفسه، بالإضافة إلى التأكيد عليه كوسيلة لتعليم التاريخ، فإنه يستخدم أيضاً كمثال ونموذج للحياة فيقول: التاريخ يجب أن يكون مثالنا". أو "من واجبنا أن نشير إلى هذه الأمور، لإعلان الحكومة الإسلامية وأسلوب الحكام الإسلاميين في مقدمة الإسلام، دعنا نقول أن دار الإمارة مكتب حكمه كانا يقعان في زاوية المسجد وامتد نطاق حكمه إلى نهاية إيران ومصر والحجاز واليمن. مع الأسف، عندما وصلت الحكومة إلى الطبقات التالية، أصبحت الحكومة ملكية وأسوأ من الملكية، يجب نقل هذه المواد إلى الناس ومنحهم النمو الفكري والسياسي ".إذا كان الغرض من علم التاريخ هو تعلم دروس الماضي من أجل المستقبل، فلا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا عبر متابعة أسباب وتأثيرات الأحداث.
كما اهتم الإمام (قدس) بضرورة تجميع الأحداث التاريخية وتسجيلها دون مراعاة المبادئ الصحيحة، وعلى هذا الأساس، فقد طلب من المؤرخين مراعاة القواعد في مسألة التأريخ.

أصول وقواعد التأريخ للثورة وفق وجهة نظر الإمام الخميني (قدس)

أعطى الإمام الخميني (قدس) أهمية خاصة لضرورة تدوين الأحداث التاريخية كما هي ووقائعها. لذلك أكد في رسالة لحجة الإسلام والمسلمين حميد روحاني في شهر كانون الثاني/ يناير ١٣٦٧ على ضرورة تجميع تاريخ الثورة الإسلامية: آمل أن تثبت بدقة التاريخ الملحمي والحافل بالأحداث للثورة الإسلامية الفريدة لشعب إيران البطل كما هي" و"أنت، كمؤرخ، يجب أن تكون على دراية بالمهمة الضخمة التي اضطلعت بها".
وفي جزء آخر من تصريحاته في السياق نفسه، قال:" إذا لم تجتهد ولا تسجل وتحافظ على التاريخ الصحيح، فإن الأكاذيب المقرونة للعناصر الصهيونية والقوى العظمى ستصبح معيار التاريخ المستقبلي.

لذلك، فإنه يجب أن نؤسس التاريخ الذي يعد بناءاً للجيل المستقبل بأيدينا. إنّ أهمية التسجيل الصحيح للأحداث التاريخية في رأي الإمام تكمن في أنه "أرّخ جميع رسائله وأمر إبنه بأن يحذو حذوه".
في الواقع، كان يعتقد الإمام (قدس) أن الغرض من كتابة التاريخ الصحيح للثورة الإسلامية هو أن الأجيال القادمة سوف تستيقظ وتكون واعية وقادرة على فهم واقع الحركة الإسلامية دون أي غموض وإيجاد مثال لأنفسهم من هذه الفترة الزمنية. في الواقع، يمكن القول: "كان للثورة الإسلامية الإيرانية أهداف إسلامية بالكامل في سعيها نحو العدالة. تنعكس الأهداف الإسلامية وعدالة الحركة في شعارات الشعب ورسائل قيادة الثورة في جميع مراحل الحركة".
يحاول بعض الناس من بعيد وقريب إخفاء الأهداف والمثل العليا للشعب في هذه الثورة في التاريخ. لذلك يطلب الإمام من مؤرخي الثورة التأكيد أكثر على شرح أهدافها وإظهار روح الثورة: "يجب أن تظهروا كيف انتفض الشعب ضد الاستبداد والتخلف واستبدال فكر الإسلام المحمدي الأصيل بالفكر الإسلامي الملكي، والإسلام الرأسمالي و الإسلام الانتقائي، وباختصار الإسلام المتأمرك.
وكذلك يشدد الإمام (قدس) على توثيق التاريخ وخاصةً تاريخ الثورة بالصور الحية ومقاطع الفيديو قدر الإمكان. لأنه عبر التوثيق، يُمكن سرد الأحداث التاريخية للأجيال القادمة ببراهين موثوقة، وزيادة قيمتها ودقتها وجودتها: "إذا كان بإمكانك توثيق التاريخ بالصوت والفيلم الذي يحتوي على محتويات مختلفة للثورة على لسان جماهير الشعب المظلومة، لقد فعلت شيئاً جيداً وذا قيمة في تاريخ إيران ".
وقد شدد الإمام (قدس) على الكتابة الموضوعية والدقيقة والصحيحة للأحداث التاريخية كأحد المبادئ المهمة لكتابة التأريخ، مع الاهتمام بإبراز دور ومكانة ومكانة الناس والعلماء في التاريخ.

محاولات غربية لتشويه التاريخ

يحتل التأريخ الإيراني حالياً مكانة خاصة. لقد حاول الغرب كتابة تاريخنا بالطريقة التي يريدها. كتب المستعمرون التاريخ وفق أهدافهم، وكان أعداء الإسلام والدين مسؤولين عن تشويه الحقائق التاريخية. اليوم، يجب على المؤرخين الشباب والجيل الجديد مواجهة هذا التأريخ. لحسن الحظ، أصبحت المراكز الوثائقية والتاريخية في إيران أكثر نشاطاً في السنوات الأخيرة. في الوثائق الأمنية، هناك معلومات أولية؛ ولكنها توفر اليوم معلومات جيدة للمؤرخين والباحثين.
إذا كانت حكومة بهلوي تحكم، فمن المؤكد أنها لن تنشر هذه الوثائق. لذلك، فإن نفس المستندات التي لدينا في وزارة الخارجية ووثائق السافاك ووثائق الجيش ومراكز الوثائق الأخرى هي مصادر جيدة لكتابة التاريخ. وهناك ذكريات جيدة من شهود العيان ورواة التاريخ، والتي يمكن أن تكون مصدراً جيداً لتجميع التاريخ. وفقاً لقائد الثورة، يجب على المؤرخين الانتباه إلى البصيرة السياسية وتحليل العدو والتسلسل الزمني. على المؤرخين أن يقوموا بالسرد الصحيح للتاريخ، ما زال الطريق في بدايته ويجب مواصلة هذه الجهود حتى يصل كتابة تاريخ الثورة الإسلامية في السنوات القادمة إلى المكانة التي تستحقها.
ختاماً من المفيد القول أنه بالإضافة إلى تسجيل التاريخ، يجب الاهتمام بتقديمه للجمهور؛ إلى جانب المؤرخين، وفي هذا السياق يجب على الفنانين دخول الساحة واستخدام فنهم وذوقهم لإنشاء أعمال فنية أصلية في المجالات التاريخية بحيث يمكن نقل التاريخ إلى سياق المجتمع.

يحتل التأريخ الإيراني حالياً مكانة خاصة. لقد حاول الغرب كتابة تاريخنا بالطريقة التي يريدها وكتب المستعمرون التاريخ وفق أهدافهم، وكان أعداء الإسلام والدين مسؤولين عن تشويه الحقائق التاريخية اليوم، يجب على المؤرخين الشباب والجيل الجديد مواجهة هذا التأريخ